المحاضرة الخامسة :الأنثروبولوجيا المتوسطية

رابعا/ العلاقات في الفضاء المتوسطي

1- تاريخ العلاقات بين ضفتي البحر (شمال / جنوب)

أحواض البحر الأبيض المتوسط :

- **الحوض الغربي:** يحتوي هذا الحوض من الجهة الغربية على خط الربط لطرفي رأس سبارطيل، ورأس طرف الغار، أمّا من الشمال الشرقيّ فيحتوي على الساحل الغربيّ لإيطاليا، والساحل الشمالي لجزيرة صقلية، أمّا من الشرق فيحتوي على خط الربط الممتد من صقلية إلى رأس الطيب في تونس.
- **الحوض الشرقي:** يحتوي هذا الحوض من الجهة الغربية على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية من الحوض الغربي، أمّا من الشمال الشرقي ففيه خط الربط كوم كالي، ورأس هيليس، أمّا من الجنوب الشرقي ففيه مدخل بور سعيد وقناة السويس، أمّا من الشرق ففيه سواحل فلسطين، وسوريا، ولبنان.

ترتبط ضفتي بحر الأبيض المتوسط بعلاقات إذا رجعنا إلى القاعدة الصلبة التي ترتكز عليها والتي تسمى بالكتلة التاريخية (stoïque Bloc)أو الموروث التاريخي للعلاقات بين دول ضفتي المتوسط، والتي تمثل ذلك التراكم التاريخي المستمر لكل الأحداث والوقائع التي ميزت علاقات شعوب وأمم المتوسط عبر التاريخ، علاقات تاريخية، ثقافية اقتصادية، سياسية اتخذت أشكالا صراعية أحيانا، وتعاونية أحيانا أخرى. حيث أعطت لمنطقة المتوسط ديناميكية متميزة احتلت بموجبها قلب العالم لفترة زمنية طويلة، ومن جهة أخرى فإن ديالكتيك الصراعات التاريخية أعطت ميلاد قيم ومفاهيم وطموحات متشابهة، وذلك بالرغم من تنافرها وتصارعها".

2-1- مرحلة الصراع والمواجه: عرفت منطقة حوض البحر المتوسط على مر العصور، ومنذ فترات تاريخية بعيدة صعودا لكثير من القوى العالمية، حيث نشأت على مياهه العديد من الإمبراطوريات التوسعية، والتي دارت بينها صراعات، وصدامات، وأزمات إقليمية كبيرة، "فقد اصطدم فوق مياهه

الإغريق والفرس، روما و قرطاجة، الإسلام والمسيحية في إطار الحروب الصليبية" حيث ساد في فكر السياسيين والاستراتيجيين اعتقاد مفاده أن من يسيطر ويتحكم في مداخل ومخارج المتوسط يستحوذ على القوة وذلك من خلال مراقبة المناطق الجيوإستراتيجية، وهو الشيء الذي يفسر تلك الجولات التنافسية لمتعددة عبر الأزمنة على هذه المنطقة، حيث يستند التنافس الدولي على منطقة المتوسط على نظريتين رئيستين وهما: النظرية الرومانية والنظرية الإسلامية.

أ- **النظرية الرومانية للسيطرة على المتوسط:** حيث تنطلق هذه النظرية من فكرة مفادها أنه من يتحكم أو يسيطر على السواحل الجنوبية للمتوسط يمكنه السيطرة والتحكم الفعلي على سواحله الشمالية. وحسب هذه النظرية فإن السيادة الرومانية على القارة الأوربية لن تكون حقيقة إلا من خلال السيطرة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الجنوبية، وأن الإمبراطورية الرومانية لن تكتمل إلا من خلال السيطرة على كافة البلدان المشاطئة للمتوسط، وهذا تعبير عن الاستراتيجية الرومانية في منطقة المتوسط، من أجل خلق إمبراطورية عظمى تمتد حدودها على كافة سواحل المتوسط شرقا وغربا، شمالا وجنوبا

ب- **نظرية العربية للسيطرة على المتوسط:** حيث تبين هذه النظرية من خلال الفتوحات الإسلامية والتي شملت العديد من الدول الأوربية، بالإضافة إلى الدور الراسخ تاريخيا الذي لعبته الدولة العثمانية ما بين القرنين17و 18 الميلادي في حوض البحر الأبيض المتوسط، وهذا من خلال استغلالها لأسطولها البحري القوي والتميز في مراقبة مداخل ومخارج البحر الأبيض المتوسط، وكل السفن الأوربية التجارية والحربية التي تعبر من خلاله، ليتحول بذلك المتوسط إلى بحيرة إسلامية عربية متغلغلة وسط وجنوب أروبا.

2-2- مرحلة التعاون و الحوار:

شهدت طبيعة العلاقات بين دول ضفتي البحر الأبيض المتوسط الشمالية والجنوبية مراحل مختلفة، وتقلبات متعددة، حيث أنها كانت تميل للإيجابية أحيانا وللسلبية أحيانا أخرى، تبعا للتحولات الدولية والتغيرات الاقتصادية والسياسية العالمية وتبعا كذلك إلى الحسابات والخيارات الاستراتيجية والمصالح المتبادلة، وما مرحلة التعاون إلا امتداد لتلك العلاقات التاريخية التي تربط الدول الأوربية بدول الحوض المتوسط، فكما كان الصراع والصدام سجلا متكافئ كان التعاون والسلام خيارا إراديا ناجما عن قناعة جميع الأطراف بضرورة التعاون والتعايش، وهذا الأخير الذي تحكمه معايير القوة والضعف والمصلحة، فالدول الأوروبية تبحث عن تعايش الهيمنة والوصاية على دول الضفة الجنوبية، في حين أن هذه الأخيرة تبحث عن نمط جديد من العلاقات المتكافئة، والهادفة إلى خلق الظروف الملائمة

لتحقيق التنمية في أقطارها. ولقد أدى هذا البحر أدورًا رئيسية في الاتصالات بين الشعوب وأسّسَ لمبادلات على المستوى الفكري والإبداعي، حيث كان المتوسط بيئة خصبة لتطوّر الفنون بمجالاتها المتعدِّدة كالأدب والفلسفة والموسيقى والفلك، وحاضرًا التكنولوجيا.

3- الفوارق الانسانية بين الواجهة الشمالية والواجهة الجنوبية

ما فتئ الاهتمام بالفضاء المتوسطي يتزايد ويتضاعف أكثر فأكثر، ويعود ذلك أساسا لكونه لا يمثل الملتقى الجغرافي فحسب، بل الحضاري، الجيوسياسي، الاقتصادي والعسكري وغيره.

- ان الفضاء المتوسطي ماديا كنطاق جغرافي ومعنوي وكامتداد حيوي هو عبارة عن محور رئيسي من المحاور الاستراتيجية العالمية المعاصرة. وان الاختلاف كبير فيما يتعلق بالظواهر الانسانية بين الدول الواقعة شمال المتوسط وتلك التي تقع جنوبه في بلدان الوجهة الجنوبية.
- الدين الاسلامي هو الدين الوحيد تقريبا 'اذا ما استثنينا(10 ملايين قبطي في مصر)
- اللغة العربية هي اللغة المسيطرة بصورة مطلقة (باستثناء بعض مناطق بلاد المغرب حيث
- يتكلم الناس اللغة (**الأمازيغية**)
- هناك تنوع لغوي بين دول الواجهة الشمالية بل ان هذا التنوع بدأ يظهر داخل بعض الدول . كما يمكن احصاء اثني عشر(12) **لغة** تختلف نسبيا فيما بينها ويعترف بها رسميا .
- اما الظواهر الدينية في الواجهة الشمالية فتظهر بصورة خجولة الى حد ما نظرا لكون هذه المجتمعات قد اصبحت علمانية نسبيا . انها مجتمعات ذات ثقافة كاثوليكية في غرب هذه الواجهة من البرتغال وإسبانا الى كرواتي لكن في اقصى الشرق الاوسط هناك علاقات جيو سياسية بين الكاثوليك الأرثوذكس والمسلمين تتسم بالصراع ليس بسبب انتماءاتهم الدينية المختلفة بل بسبب التنافس على السيطرة على الأراضي بين حركات قومية متطرفة .

4- الحوار الاورو متوسطي:

تعرف المنطقة الأورو متوسطية بأنها طريق عبر الحضارات، والمساحة، حيث التقت الشعوب وتبادلوا فيما بينهم منذ أقدم العصور. حيث شكلت تلك المساحة من التبادلات الثقافية - كما أشار السفير. حاتم عطا الله ، خلال كلمته الاولى التي ادلى بها عقب توليه منصب المدير التنفيذي لمؤسسة آنا ليند ..... - "نوعاً من الثقافة العالمية و لكنها ليست بالموحدة او المتجانسة. و التي تعكس تفاهماً ثقافياً، بالإضافة الى أبعاد و ظواهر غير محدودة من التنوع والاختلاف، و الذى على الرغم من كونه واعداً و ملهماً الا أنه يحمل العديد من التحديات .فثقافتنا تبرز ذواتنا، تعكس واقعنا الاجتماعي، تقدم حياتنا اليومية، و تترجم طموحاتنا وتطلعاتنا."

سعت الدول الأوروبية منذ الثلث الأخير من القرن الماضي تقريبا إلى إقامة علاقات تعاون مع دول المنطقة المتوسطية بما فيها الجزائر، وقد دخلت هذه العلاقات لتلمس مختلف الجوانب التجارية والمالية والتعاون العلمي والتقني، وكان **مؤتمر برشلونة** المنعقد سنة **1995** البادرة الأولى في إطلاق المفهوم الجديد للعلاقات الأورو متوسطية بين دول الاتحاد الأوروبي والدول المتوسطية في إطار جديد للعلاقات الثنائية تحت مسمى الشراكة الأورو متوسطية.

4-1- الجذور التاريخية للعلاقات الأورو متوسطية:

إن الجذور التاريخية لموضوع الشراكة الأور ومتوسطية تعود إلى نهاية الخمسينات من القرن الماضي وبالتحديد اثر إبرام معاهدة روما في سنة 1957 ، والتي تنص في 238على ضرورة إقامة علاقات اقتصادية تعاونية بين الدول الأوروبية التي انضمت إلى المعاهدة، والدول النامية الحديثة العهد بالاستقلال والتي من بينها دول جنوب وشرق المتوسط، وتحديد إجراءات تحرك السلع والخدمات بينهما . ولاشك أن نجاح الشراكة الأور ومتوسطية يعد مكتسبا يخدم مصالح وطموحات كلا الطرفين، إلاّ أن هذا النجاح يتطلب من كل طرف تبني سياسات ملائمة يلتزم بتطبيقها وتتمثل فيما يلي:

أ- **من جانب الاتحاد الأوروبي :** تعهد الاتحاد الأوروبي بالعمل على التخفيف من الآثار السلبية للمرحلة الانتقالية وذلك باتخاذ مجموعة الاجراءات أهمها **"التخفيض في الدين" و "رفع حجم الاستثمارات"**

ب- **من جانب الدول المتوسطية:** تستلزم الشراكة توافر شروط في اقتصاديات الدول المتوسطية حتى يتحقق النجاح في تلك الاتفاقيات وجاء في تقديراتهم ان هذه الدول بحاجة مسبقة الى تحقيق :

- دعم الاستقرار الاقتصادي
- التقليل من اعتمادها على العائدات الجمركية من الضرائب
- العمل على تقليص حجم الدين الخارجي
- العمل على تطوير وتقوية نظام المعلومات- الاتصالات
- العمل على بناء شبكة أمان اجتماعية
- نفعيل دور رجال الأعمال